دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 35، العدد 1، 2008

بدع التفاسير اللغوية
مفهومها وأسبابها وضوابط التفسير

*أحمد فريد أبو هزيم**

ملخـص

يهدف هذا البحث إلى بيان أن بدع التفاسير اللغوية المقصود منها: الآراء الفاسدة التي لا أصل لها في الدين، ولم تقم على قواعد اللغة العربية، وما إلى ذلك من شروط التفسير التي اعتمدها العلماء المحققون عند تفسير كتاب ا تعالى.

كما يهدف إلى توضيح الأسباب التي أدت إلى وجود هذه البدع مع ضرب الأمثلة التي تدل على ذلك منها:

عدم الانضباط بأصول اللغة العربية وغير ذلك من الأسباب. ويهدف البحث كذلك إلى كشف عورات تأويلات فاسدة لبعض المفسرين القدامى، وبعض المحدثين الذين فسروا القرآن الكريم باسم العلم، دون مراعاة لشروط التفسير الصحيحة المتفق عليها، قاصدين من كل هذا، إثارة الفتنة والبلبلة في صحة ما جاء في كتاب ا تعالى وسنة الرسول صلى ا عليه وسلم.

والغرض الأسمى من هذا البحث يتمثل في محاولة تنقية كتب التفسير من تلك البدع من خلال أسس معروفة مضبوطة اتفق عليها ثقات العلماء، ترشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه التفسير الحقيقي؛ وأهمها: إدراك اللغة العربية، فهي الأساس الذي تعتمد عليه الأسس الأخرى.

الكلمـات الدالـة: التفاسير اللغوية، ضوابط التفسير.

المقدمـــة

الحمد رب العالمين الذي أنزل أحسن الحديث وأفضله، وبعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإظهار حججه ومعجزاته صلى ا عليه وسلم وعلى آله وأصحابه نجوم الهداية، ومن سار على دربه ونهج طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمما لا ريب فيه أنه ليس لكائن من كان أن يدخل مضمار التفسير من غير مؤهل، لأن التفسير الواقعي هو الذي يستمد لحمته وسداه من مادة القرآن الكريم فحسب من غير تأويلات عبثية لا قيمة لها، كما أنه تفسير يقوم على ضوابط علمية، وضعها العلماء لمن وجدت عنده الأهلية لتفسير القرآن الكريم، أهمها: فهم قواعد اللغة العربية ، فقد اتضح بما لا مجال للشك فيه أن القرآن الكريم أنزله ا تعالى بلسان من أرسله، قال ا تعالى: (وما أَرسلْنَا من رسولٍ إِلا بِلسانِ قومه)[1] وغيرها من الآيات .فشهادة القرآن الكريم تدل بجلاء على أنه عربي، تلقاه جبريل عن ا تعالى ونزل به على النبي صلى ا عليه وسلم بألفاظه ومعانيه[2].

ومع وضوح هذه الحقيقة، فقد وجد من انحرف عن هذا المنهج من أهل البدع والأهواء، فجاء في تأويلهم للقران الكريم كثير من الزيف، بعيداً عن قواعد اللغة؛ أسسها وقواعدها.

ولقد هالني حينما اطلعت على أقوال مرفوضة من الأقدمين والمحدثين سيقت لتفسير كثير من الآيات القرآنية مع وضوح اللغة العربية ودلالة مفرداتها التي تشير إلى معان أخرى غير تلك المعاني الفاسدة، فهي بالإضافة إليها (كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لباب الحنطة)[3]. ولا أدري أي مسوغ للاعتماد على كثير مما قام البرهان على رفضه جملة وتفصيلا في تفسير النصوص القرآنية مع جلاء اللغة وقدرتها على استنطاق النص وتجلية معناه، لولا أن وراء الأكمة ما وراءها.

لقد أراد البعض طعن القرآن في الصميم، بعد أن أعجزهم تواتره فأدخلوا في توضيحه ما تنفر منه العقول ولا يتوافق مع المنقول، ولا يمكن بحال أن تدل ألفاظه عليه، توصلا

* قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان. تاريخ استلام البحث 2006/7/1، وتاريخ قبوله 2007/3/5.

منهم بذلك في تصورهم وتفكيرهم، إلى إظهار القرآن الكريم بما تضمنه من عقائد وأحكام ونحوها في مظهر غير لائق مناف للحكمة والعقل. ومن هنا آثرت أن أعد هذا البحث الذي أسميته: (بدع التفاسير اللغوية مفهومها، وأسبابها، وضوابط التفسير) وذلك لأمور عدة منها:

- أن هذه التفاسير الخاطئة للآيات القرآنية بما لا تحتمله قواعد اللغة العربية، أوجدت في عقول كثير من المسلمين وغيرهم عقبات في إدراك هداية الإسلام وتعاليمه ومفاهيمه.
- ان الاعتماد على مثل هذه البدع اللغوية في تفسير كتاب الله تعالى يفقد القرآن الكريم خاصية من أهم خصائصه وهي: الإعجاز البياني، ذلك الترتيب الذي كان لكلماته في جملها من جهة ، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، بحيث (لو نزعت منه كلمة ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد)[4] وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن الكريم، بسلامة الفطرة.

أقول لما كان هذا النوع من التفسير الذي يتنافى ويجافي مظاهر الإعجاز البياني، أردت من خلال هذا البحث المتواضع التصدي له، وذلك من خلال كشف الشبهات، ودفع ما يقع في تأويل نصوص القرآن الكريم من الفهم الخاطئ، وإذ ذاك نأخذ طريقنا إلى كتاب الله تعالى طريقا مستقيما مطمئنا.

على انه لا بد من التنبيه على؛ أولا: أن سبب الدخيل في التفسير لم يقتصر على هذا الجانب فحسب، إنما يتعداه إلى أسباب أخرى منها الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة وغيرها، فكل ذلك من أنواع الدخيل، إلا أن الذي يعنيني في بحثي هذا ما دخل عن طريق اللغة العربية.

ثانيا: أني لا أدعي في عملي هذا أني لم أسبق إليه، فقد نال هذا الموضوع العناية الفائقة من علماء الإسلام أحسن الله تعالى إليهم، فهم جديرون بالتقدير والتعظيم، وقد كان دوري في هذا البحث، وقصارى ما قمت به أني اطلعت على ما تهيأ لي من كتب المتقدمين والمتأخرين، أجمع من تلك الرياض الواسعة باقة متناسقة سهلة جلية متعانقة، ترسم لذلك الجهد الكبير الذي قام به علماؤنا الأجلاء صورة محددة، وترسم السبيل للقارئ الكريم.

ولتحقيق الغرض المطلوب من هذه الدراسة، تجنبت التفصيل في كثير من القضايا، واختصرت المطول، مع الإشارة في كثير من المواضع إلى بعض المراجع التي تنفع الباحث وتعينه إلى الوصول إلى ضالته.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وأربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم البدعة، وبيان ماذا يراد بها إذا أضيفت إلى التفسير.

المطلب الثاني: أسباب بدع التفاسير اللغوية والأمثلة عليها.

المطلب الثالث: بدع التفاسير اللغوية المحدثة وذكر بعض النماذج التي تدل عليها.

المطلب الرابع: ضوابط التفسير الصحيح؛ أهمها: قواعد اللغة العربية وأسرارها (إعمال المنطق اللغوي).

وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت من خير، وأن ينفع الله تعالى به عموم المسلمين، ويجعله سلاحا أصد به أعداء الإسلام، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

المطلب الأول
بيان مفهوم البدعة وماذا يراد بها إذا أضيفت إلى التفسير

تعريف البدعة لغة: لو عدنا إلى كتب اللغة نستخرج ما في بطونها من دلالات كلمة (البدعة) لوجدنا أنها تعني: الإحداث في الدين يقول الفيروزآبادي: (والبدعة بالكسر: الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال)[5]. وهذا ما ذهب إليه مؤلف: مختار الصحاح[6] والمعجم الوسيط[7] ومقاييس اللغة[8] وفي تاج العروس: (والبدعة بالكسر الحديث في الدين بعد الإكمال. ومنه الحديث (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة)[9]. أو هي ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال، وهذا قول الليث قال: والجوهري بدع كعنب، وأنشد:

ما زال طعن الأعادي والوشاة بنا
والطعن أمر الواشين لا بدع

وقال ابن الأثير: البدعة بدعتان:بدعة هدى وبدعة ضلال، وما كان في خلاف ما أمر الله تعالى به فهو في حيز الذم والإنكار)[10]. إلى غير ذلك من التعريفات التي قيلت في معنى هذه الكلمة، والذي يلاحظ فيما تقدم بيانه، انه غاب استعمال مفردة (بدعة): فيما استحدث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأهواء والآراء الفاسدة والإعمال في أمر الدين والحقيقة أن ما أشار إليه هؤلاء العلماء[11]، يدل بجلاء على أن ضابط البدعة المحرمة، هو الإحداث في الدين. ومما يؤكد ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى[12]. وسنة

رسوله صلى ا عليه وسلم. قال رسول ا صلى ا عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[13].

وعلى ضوء ما تقدم، فإن المقصود ببدع التفاسير اللغوية التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا المبحث: ما تسلل إلى تفسير كتاب ا تعالى وامتزجت به بفعل مؤثرات معينة، من آراء فاسدة، وأفكار شاذة وأحكام غريبة، وغيرها من المعاني والمفاهيم المرفوضة التي لا أصل لها في الدين ولا من اللغة العربية.

ولما كانت بدع التفاسير اللغوية كذلك لم تقم على قواعد اللغة، ولم تستمد روحها ومقوماتها من كتاب ا تعالى، أو من سنة الرسول صلى ا عليه وسلم أو المأثور الصحيح عن الصحابة والتابعين،وما إلى ذلك من الركائز التي اعتمدها العلماء المحققون عند توضيح كتاب ا تعالى - كما سأوضح ذلك لاحقا - لما كانت كذلك، فقد حكم علماء المسلمين بحرمتها، وقاموا على تعريتها وكشف زيفها، انطلاقا مما أوجبه ا تعالى عليهم من الدفاع عن الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الثاني
أسباب بدع التفاسير اللغوية

إن أسباب بدع التفاسير اللغوية متعددة منها ما له علاقة بالمعاني اللغوية، ومنها ما هو مرتبط بقواعد النحو، وغيرها[14]، على أنه لا بد من التنبيه على أن هذه الدواعي التي سأذكرها والأمثلة الدالة عليها، ما هي إلا كشف وإيضاح، وليس على سبيل الاستقراء التام، وإنما أوردتها لنتعرف على حدود هذا المبحث ومعالمه. ومن هذه الأسباب التي أدت إلى وجودها مما يتعلق بعدم الانضباط بقواعد اللغة وعدم إدراك الكنز الدفين فيها:

- عدم الالتزام التام بقواعد النحو.

من المقرر لدى أهل العلم أن من أصول منهج العلماء اللغوي تناولهم قضايا النحو ومسائله في التفسير، فالمتصدي للتفسير لا بد أن يكون على درجة عالية من الفهم والوعي للمعنى الأول الظاهر المتبادر الذي يتوقف تحديده على ضوء ما يربط بين أجزائه من العلامات التي تنهض بها حركات الإعراب باعتبار أن الإعراب فرع المعنى لا العكس، فالأصل هو المعنى الذي يعيه العقل ويدركه معربا عنه بالحركات غالبا فكان الإعراب صدى للمعنى، ومن هنا ندرك سر اهتمام العلماء بعلم النحو، لأنهم يعلمون بثاقب فكرهم، وعميق تدبرهم، (أن عدم معرفة ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم، ويتحرى في ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصناعي وأسهل تعليما وأشـد تحصيلا للمعاني)[15] إن عدم معرفة ذلك يؤدي إلى تغيير المعنى، وبالتالي يفقد القرآن الكريم خاصية الفصاحة التي امتاز بها كما قرر ذلك علماء البيان كالقاضي عبد الجبار الهمذاني[16]، وعبد القاهر الجرجاني[17]، أما الأول فعند حديثه عن الفصاحة في كتابه المغني، بين أنها لا تظهر في الكلمات المفردة، وإنما بضم هذه الكلمات بعضها إلى بعض، ويذكر جهات ثلاث تظهر بها فصاحة الكلام:

الأولى: اختيار الكلمة. والجهة الثانية: حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب. والجهة الثالثة موقع هذه الكلمة تقديما وتأخيرا إلى غير ذلك من أساليب[18]، وهناك أمثلة ضربت لتوضيح كلام القاضي[19].

أما العلامة عبد القاهر فيرى أن الكلام الذي يكون مقبولا عند المخاطبين لا بد له من ثلاثة عناصر اللفظ والمعنى والنظم والذي يلاحظ أنه ركز على العنصر الثالث وهو النظم ومعناه كما يراه (هو توخي معاني النحو) بمعنى أن يكون موافقا لقواعد النحو[20].

وهكذا تبين لنا أهمية النحو، لما له من أثر في إبراز الجانب الإعجازي في كتاب ا تعالى وتجلية معانيه بصورة سليمة وصحيحة كما بينت آنفا.

والحقيقة أن عدم التقيد بهذا العلم خروج عما التزم به العلماء المحققون، ناهيك عما يؤدي إليه فعلا من فاحش اللحن، والوقوع في أخطاء جسيمة قد تؤدي إلى الكفر والخروج عن الضالة، ومثل ذلك الرجل الذي قرأ قوله تعالى: {أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَخَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[21]. فقرأها بجر لام كلمة رسوله، فأفزع هذا اللحن الشنيع أبا أسود الدؤلي وقال: عز وجه ا تعالى أن يبرأ من رسوله[22]. فكان هذا من الأسباب الحاملة على وضع علم النحو. وقد اختلف العلماء في من له السابقة في وضع علم النحو، فقيل: أبو الأسود الدؤلي بأمر عمر بن الخطاب[23]، وقيل غير ذلك، ولست هنا – في هذه الدراسة المتواضعة - في مجال البحث في خلافاتهم ورواياتهم التي تتنازع واضع هذا العلم، والتي تتباين في سبب وضعه، فإن لهذا الموضوع مجالا آخر، إلا أن الذي أريد تقريره أن علم النحو قد وضع في وقت مبكر لمواجهة الظروف التي ظهرت آنذاك والتي أشاعت اللحن على ألسنة الناس، ولعل أهم دواعيها: اختلاط العرب بالشعوب الأعجمية التي دخلت بالإسلام، مما ترتب عليه أن يوجد اللحن بشكل ملموس بلغ

حدا من الخطورة من ذلك:

(كتب كاتب لأبي موسى إلى عمر بن الخطاب رضي ا تعالى عنه: "من أبو موسى". فكتب إليه عمر: سلام عليك. أما بعد: فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخر عطاءه سنة)[24] والأمثلة على ذلك كثيرة تدل على خطورة اللحن[25].

أقول إذا كانت هذه دلالات اللحن في كلام البشر، فكيف في كلام ا تعالى المتناهي في البلاغة فهي أشد وأنكى، يقول ابن خلدون وهو يتحدث في مجال تأثير اللحن: (وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد الملكة رأسا، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم)[26]. فلا عجب إذن أن نجد جهابذة العلماء حريصين على وضع قواعد علم النحو لأجل الحفاظ على نصوص القرآن الكريم أن تتعرض للتغيير والتبديل، وأن يحاربوا اللحن لإدراكهم خطورته الدينية[27] واللغوية، فهو الذي يمكنه القضاء على هذه الآفة وذلك المرض الذي أخذ يشيع في الأمة الإسلامية، كما حرص العلماء كذلك على العناية بعلمي التصريف والاشتقاق لما لهما من أثر فعال في تفسير النصوص القرآنية.

- ومن أسباب البدع اللغوية، حمل حمل ألفاظ القرآن الكريم ما لا تحتمله من تفسيرات من غير نظر إلى ما تستحقه من الدلالة والبيان[28]، وهذا مخالف لما نهجه العلماء من أنهم كانوا يصطفون أفصح كلام العرب شعرا ونثرا بما يعينهم على الارتقاء بالتفسير شأوا بعيدا، وفي ذلك استجابة لما تقتضيه بلاغة القرآن الكريم وفصاحته.

ومن هذه التفسيرات الغريبة المخالفة لقواعد اللغة العربية ما ورد من تفسير الصوفية للقرآن الكريم الذي يدور حول الباطن، ويطلق عليه اسم الإشارات، فقد أخذ بعض المتصوفين بتوجيه النصوص القرآنية على اعتبار أن كل آية في القرآن الكريم تخفي وراءها معنى باطناً لا يظهره ا تعالى إلا للخاصة من عباده المؤمنين، ويكون ذلك بطريق الإلهام الرباني، لا بطريق التعلم بالقلم[29]. ومن أجل ذلك نراهم يتعسفون في فهمهم للآيات القرآنية، ويشرحونها شرحا يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤيده الشرع، وتشهد له اللغة.

وحتى نستطيع أن نحكم على تلك التفسيرات الباطلة لكتاب ا تعالى بعين الإنصاف نذكر نماذج من تفسيرات بعض المفسرين منهم، لنقرر بعد ذلك بكل اطمئنان أن مثل هذا الكشف والإيضاح يخرج بالقرآن في الغالب عن هدفه الذي يرمي إليه. ونستطيع أن نعتبر محي الدين بن عربي عمدة هذه الطريقة في التفسير في كتابيه: فصوص الحكم، والفتوحات المكية[30]. ومن أمثلة التفسير الإشاري التي لا تدل عليها لغة العرب:

المثال الأول: عند توضيح ابن عربي للآيات التي تتعلق بالكافرين في سورة البقرة، يقول ا تعالى: {إن الذين كفَروا سواء عليهم أأنذَرتَهم أم لم تُنذرهم لا يؤْمنُون}*{ختَم اللّه على قُلُوبِهم وعلَى سمعهم وعلَى أَبصارِهم غشَاوةٌ ولَهم عذَاب عظيم}[31]. يقول معلقا على النص السابق: (إيجاز البيان فيه: يامحمد إن الذين كفروا، ستروا محبتهم في عنهم، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري وأنت تنذرهم بخلقي، وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم، فلم أجعل فيها متسعا لغيري، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما في العالم إلا مني، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي، فلا يبصرون سواي، ولهم عذاب عظيم عندي، أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك، وأحجبهم عني، كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا، أنزلتك إلى من يكذبك ويرد ما جئت به إليه مني في وجهك، وتسمع في ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك، فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم، رضائي عنهم فلا أسخط عليهم أبدا)[32]، فأنت ترى من خلال هذا التوضيح أن ابن عربي قد غير الحقائق وبدلها، فجعل أوصاف الكافرين المذمومة صفات ممدوحة، وحمل هذه الأوصاف على أولياء ا تعالى بدلا من أعدائه، وهنا لا بد من هذا التساؤل، هل ما ذهب إليه هو مراد ا تعالى من كتابه؟ إذا ما عدنا إلى الآيات القرآنية في مطلع سورة البقرة نستعرضها، وندرسها بتدبر وعناية، نراها أولاً تنوه بشأن القرآن الكريم، وتصرح بأنه حق لا ريب فيه،{ذَلك الْكتَاب لا ريب فيه هدى للْمتقين} البقرة 2، ثم تفصل بعد ذلك أوصاف المتقين ومدحهم بجملة من المناقب الحميدة، من الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة في أوقاتها المقدرة لها، والإنفاق مما أعطاهم ا تعالى في وجوه الخير، والإيمان بالقرآن الكريم، والكتب الإلهية السابقة، ثم وصفهم بوصف خاص، الإيمان بالدار الآخرة وما فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب. تجد ذلك جليا في قوله تعالى: {الذين يؤْمنُون بِالْغَيبِ ويقيمون الصلاةَ ومما رزقْنَاهم ينفقُون}*{والذين يؤْمنُون بِما أُنزِلَ إِلَيك وما أُنزِلَ من قَبلك وبِالآخرة هم يوقنُون}[33]. ثم بينت بعد ذلك الثمار التي ترتبت على تقواهم فقال تعالى:{أُولَئِك علَى هدى من ربهِم وأُولَئِك هم الْمفْلحون}[34]. وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد مدحت القرآن الكريم، وأثنت على من اهتدى بهديه، ووصفتهم بالصفات السامية، وبشرتهم بالبشارت الطيبة، وبعد أن

انتهت من بيان كل ذلك، شرعت في بيان حال الكافرين، وما هم عليه من سوء الحال، وقبيح الأوصاف فقال تعالى: {إن الذين كفَروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤْمنُون}[35]. فالمناسبة بين هذه الآية وما قبلها ظاهرة وهي (انه لما ذكر صفة من الكتاب له هدى، وهم المتقون الجامعون للأوصاف المؤدية إلى الفوز، ذكر صفة ضدهم وهم الكفار المحتوم لهم بالوفاة على الكفر)[36]. ثم أعقب ذلك بقوله تعالى: {خَتَم اللّه علَى قُلُوبِهم وعلَى سمعهم وعلَى أَبصارهم غشَاوةٌ ولَهم عذَاب عظيم}[37] فقد جاءت هذه الآية إثر الآية المختومة بقوله: (لا يؤْمنُون) والإيمان تصديق يقوم على الحجة، وإدراكها إنما يكون بالقلب، فكان التعليل المتصل الواضح لنفي الإيمان أن قلوبهم مغلقة لا تنفذ إليها الحجة. فقد (طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم، (وعلَى سمعهم وعلَى أَبصارِهم غشَاوةٌ) أي غشاء وغطاء وأكنة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم ولا خير يرجى عندهم، وإنما منعوا ذلك وسدت عليهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعدما تبين لهم الحق كما قال ا تعالى: {ونُقَلِّب أَفْئِدتَهم وأَبصارهم كما لم يؤْمنُواْ بِه أَولَ مرة ونَذَرهم في طُغْيانهم يعمهون}[38]، وهذا عقاب عاجل ثم ذكر العقاب الآجل فقال: (ولَهم عذَاب عظيم)، وهو عذاب النار وسخط الجبار المستمر الدائم.[39] وإلى هنا يكون القرآن الكريم قد حدثنا عن طائفتين من الناس كما تبين لنا آنفا، طائفة المتقين ومآلها من جميل الصافات، وطائفة الكافرين ومآلها من ذميم النعوت. ثم ابتدأ القرآن الكريم بعد ذلك حديثه عن طائفة ثالثة ليس عندها إخلاص المتقين، وليس لديها صراحة الكافرين، وإنما هي طائفة قلقة مذبذبة (بين القسمين لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك، وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للقسم وهم أخبث الكفرة وابغضهم إلى ا لأنهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا)[40] تلك الطائفة الثالثة هي طائفة المنافقين الذين أماط القرآن اللثام عن خفاياهم فقال: {ومن النّاسِ من يقُولُ آمنا بِاللّه وبِالْيومِ الآخرِ وما هم بِمؤْمنين}[41].

وبعد: فأين هذا البيان والتوضيح مما قاله ابن عربي؟ والذي يلفت النظر أنه فسر قوله تعالى: (ولَهم عذَاب عظيم) بأن ا تعالى يحجب هؤلاء عنه بعد أن شاهدوه، فذلك عذاب نفسي لهم، واعتبر ابن عربي هذا شبيها بإرجاع الرسول صلى ا عليه وسلم إلى أعدائه بعد أن شاهد الحق في إسرائه. أليس في هذا الكلام ما يشوش القلوب، ويدهش العقول، ويحير الأذهان ؟ وكنت قد بينت آنفا معنى (ولَهم عذَاب عظيم) أي موجع لأبدانهم وأجسامهم بسبب إغراقهم في الكفر، واستحبابهم للمعاصي. والحق أن الذي ذكره ابن عربي في هذا المقام مردود ولا يمكن بحال تسليم قبوله في الكشف عن مراد ا تعالى، لأنه لون من ألوان التخبط في الفهم لا تدل عليه أصول اللغة ولا يؤيده العقل[42].

المثال الثاني: ومن بدع التفاسير اللغوية ما ذهب إليه ابن عربي كذلك من أنه لا فرق بين الأديان السماوية وغيرها، فالكل صحيح، واستدل على ذلك بقوله تعالى: {فَأَينَما تُولواْ فَثَم وجه اللّه}[43]. يقول مبينا تلك العقيدة الزائفة (فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها، فإن ا تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد، فإنه يقول: {فَأَينَما تُولواْ فَثَم وجه اللّه} وما ذكر أينا من أين. فقد بان لك عن ا تعالى انه في أبينة كل وجهة، وما ثم إلا الاعتقادات، فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه)[44].

ومن منطلق إيمانه بوحدة الأديان فهو يرى أن الوثنيين على حق في عبادة الأصنام لأنهم لا يعبدون في الحقيقة إلا ا تعالى، فيقول عن قوم نوح عليه السلام: (فقالوا في مكرهم: ({وقَالُوا لَا تَذَرن آلِهتَكُم ولَا تَذَرن وداً ولَا سواعاً ولَا يغُوثَ ويعوقَ ونَسراً}[45]، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء، فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله في المحمديين: {وقَضى ربك أَلا تَعبدواْ إِلا إِياه}[46]، أي حكم، فالعالم يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفرق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير ا في كل معبود، فالأدنى من تخيل فيه الإلوهية، فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره ولهذا قال: {قُلْ سموهم}[47] فلو سموهم لسموهم حجارة وشجرا وكوكبا، ولو قيل لهم: من عبدتم لقالوا: إلها، ما كانوا يقولون: ا ولا الإله، والأعلى ما تخيل، بل قال: هذا مجلي إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر، فالأدنى صاحب التخيل يقول: {ما نَعبدهم إِلا لِيقَربونَا إِلَى الله زلْفَى}[48]، والأعلى العالم يقول: {فَإِلَهكُم إِلَه واحد فَلَه أَسلموا}[49] حيث ظهر {وبشرِ الْمخْبِتين} الذين خبت نار طبيعتهم، فقالوا: إلها ولم يقولوا طبيعة)[50].

نظرة متأنية لهذا التفسير الذي أورده ابن عربي يحكم على عدم صحته من جوانب متعددة:

الجانب الأول: انه لا دلالة في قوله تعالى: {فَأينَما تُولواْ فثَم وجه اللّه} على ما يقول: إن جميع الأديان واحدة، فهذه الآية إنما نزلت في شأن القبلة أو الدعاء، وهذا ما أكده المفسرون. يقول ابن كثير: (هذا وا أعلم فيه تسلية للرسول صلى ا عليه وسلم وأصحابه الذين اخرجوا من مكة، وفارقوا مسجدهم ومصلاهم وقد كان رسول ا صلى ا عليه وسلم يصلي بمكة إلى بيت المقدس، والكعبة بين يديه، فلما قدم المدينة، وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا،أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفه ا تعالى إلى الكعبة بعد، ولهذا يقول ا تعالى: (ولِلّه الْمشْرِقُ والْمغْرِب فَأينَما تُولواْ فثَم وجه اللّه إِن اللّه واسع عليم))[51]. يقول الزمخشري: (فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة، بدليل قوله تعالى: {فَول وجهك شَطْر الْمسجِد الْحرامِ وحيثُ ما كُنتُم فَولواْ وجوِهكُم شَطْره}[52] فثم وجه ا أي جهته التي أمر بها، ورضيها. والمعنى: إنكم إن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام، وفي بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا، فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها، فإن التولية ممكنة في كل مكان، لا يختص مكانها في مسجد دون مسجد، ولا في مكان دون مكان، إن ا واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده...)[53]. وقال ابن جبير نزلت الآية في الدعاء لما نزلت {ادعوني أَستَجِب لَكُم إِن الذين يستَكْبِرون عن عبادتي سيدخُلُون جهنم داخرِين}[54]، قال المسلمون: إلى أين ندعو فنزلت: (فَأينَما تُولواْ فثَم وجه اللّه)[55]. فأنت ترى من خلال ما نقلنا من أقوال بعض المفسرين في معنى الآية الكريمة، أن الذي توصل إليه ابن عربي من الآية، وهو أن كل المعتقدات صحيحة لا علاقة له بالآية لغة ولا شرعا.

الجانب الثاني: إن ما نادى به ابن عربي من وحدة الأديان، وأن معتقدات الناس كلها واحدة، لا يمكن لنا قبوله ولا التسليم به، إذ لو كان كذلك فلم أرسل ا تعالى الرسل ابتداء من نوح عليه السلام إلى الرسول محمد صلى ا عليه وسلم إلى الناس لتقرير توحيد الالوهية؟ وبم نفسر محاربتهم عبادة الأصنام، بل سفهوا أحلام من عبدوها من دون ا تعالى؟ إنه ما كان كذلك إلا لكي يصححوا للناس ما كانوا عليه من انحرافات في العقائد والأخلاق. وفي ذلك برهان على عدم صحتها وفساد عبادتها تأمل قوله تعالى: {وإِذْ قَالَ إِبراهيم لأَبِيه آزر أَتَتخذُ أَصنَاماً آلِهةً إِني أَراك وقَومك في ضلاَلٍ مبِينٍ}* {وكَذَلِك نُرِي إِبراهيم ملَكُوتَ السماوات والأَرضِ ولِيكُون من الْموقنين}* {فَلَما جن علَيه اللَّيلُ رأَى كَوكَباً قَالَ هذَا ربي فَلَما أَفَلَ قَالَ لا أُحب الآفلين}[56]. وهكذا لما أفلت تقرر حينئذ الهدى، واضمحل الردى قال ياقوم: {إِني وجهتُ وجهِي لِلذي فَطَر السماوات والأَرض حنيفاً وما أَنَاْ من الْمشْرِكين}[57]. في شيء من الأفعال والأقوال، فتبرأ إبراهيم من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان[58]. على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكتفوا بتسفيه الأحلام والكلام عن الأصنام والمحاجة باللسان، فقد لجأوا إلى تغيير المنكر بالفعل رغم ما تعرضوا إليه من صنوف الإيذاء، ثقة با تعالى ومحاماة على دينه. فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام اجتهد في كسر الأصنام {وتَاللّه لَأَكيدن أَصنَامكُم بعد أَن تُولوا مدبِرِين}[59]، وهذا ما حصل فجعلهم (فَجعلَهم جذَاذاً) أي قطعها {إِلا كَبِيراً لهم لَعلهم إِلَيه}. أي إبراهيم (يرجِعون)[60] فيحاجهم فيحجهم[61]. فإذا كانت (لا تحفظ نفسها عن الكسر والإفساد على ما حكى ا تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كسرها، وجعلها جذاذا، فأي رجاء للغي فيها؟)[62].

الجانب الثالث: إن تفسير ابن عربي لكلمة (قَضى) في قوله تعالى: {وقَضى ربك أَلا تَعبدواْ إِلا إِياه} بمعنى حكم، وعلى ضوء ذلك فمعنى الآية عنده أن ا تعالى حكم وقدر في الأزل أن لا يعبد الناس سواه، وحكم ا تعالى لا بد من نفاذه، وإذاً فالمعبودات التي عرفها البشر على مر العصور كلها صحيحة بمقتضى هذا الحكم الأزلي، وما عبدوها إلا لأنهم رأوها صورا للإله الحق في نظرهم، فعبادتها في الحقيقة ما هي إلا عبادة تعالى. إن تفسير ابن عربي الآية على الوجه الذي رأيت في الواقع مخالف لما أجمع عليه المفسرون من أن قضى بمعنى أمر، جاء في تفسير السعدي: (وقضى ربك قضاء دينيا، وأمرا شرعيا، أن لا تعبدوا أحدا من أهل الأرض والسموات والأحياء والأموات)[63].

كما أن تفسيره السابق، يؤدي لا محالة إلى التفكك في أوصال الآية، فلو كان قضى بمعنى حكم ما ساغ عطف قوله تعالى: (وبالوالدين إحسانا) على ما قبله، إذ لا يسع عاقل أن يقول: إن كل احد محسن إلى والديه من حيث يدري ومن حيث لا يدري[64].

المثال الثالث: من التفسيرات الإشارية التي لاتتوافق مع قواعد اللغة العربية ولا يقرها عقل ولا شرع ما ذكره ابن الجوزي في كتابه (تلبيس إبليس) عن بعض فرق الصوفية آراء في توضيح كتاب ا تعالى، وهذه الأقوال يجمعها قدر مشترك وهو مخالفة أسس اللغة العربية.فقد نقل لنا عن الجنيد أنه سأله سائل عن قوله تعالى: {سنُقْرِؤُك فَلَا تَنسى}[65] فقال الجنيد: لا تنس العمل به، وسأله عن قوله تعالى: {ودرسواْ ما

فيه} الوارد في قوله: {فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ ورِثُواْ الْكِتَاب يأْخُذُون عرض هذَا الأدنَى ويقُولُون سيغْفَر لنَا وإِن يأْتهم عرض مثْله يأْخُذُوه أَلَم يؤْخَذْ عليهم ميثَاقُ الْكتَابِ أَن لا يقُولُواْ علَى اللّه إِلا الْحق ودرسواْ ما فيه والدار الآخرةُ خَير للذين يتقُون أَفَلاَ تَعقلُون}[66]. فقال له الجنيد: تركوا العمل به. فقال السائل: لا يفضض ا فاك.

وقد تكفل ابن الجوزي برد هذين القولين في تفسير الآيتين لمخالفتهما العربية من حيث اللغة والنحو. فقال: أما قوله (لا تنس العمل به) فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر، لأنه فسره على أنه نهي وليس كذلك، إنما هو خبر لا نهي، وتقديره: فما تنسى، إذ لو كان نهيا كان مجزوما، فتفسيره على خلاف إجماع العلماء،الذين بينوا أن الآية جاءت بيانا (لهداية ا تعالى الخاصة برسول ا صلى ا عليه وسلم إثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين، والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد إقراء ما أوحى ا إليه حينئذ وما سيوحي إليه بعد ذلك، فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء، أي سنقرئك ما نوحي إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام، أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والإتقان، مع أنك أمي لا تدري ما الكتاب وما القراءة، ليكون ذلك آية أخرى لك، مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث الإخبار بالمغيبات)[67].

فالآية الكريمة إذن بشارة من ا تعالى بإعطائه هذه الآية البينة، وهي: (أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه {إلا ما شاء الله} فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته، كقوله: {أو نُنسها}[68])[69].

وكذلك قوله: (ودرسوا ما فيه) إنما هو من الدرس الذي هو التلاوة من قوله تعالى: {وبما كُنتُم تَدرسون}[70]، لا من دروس الشيء الذي هو إهلاكه)[71].

وقد وضح لنا السعدي معنى هذا النص ضمن الآية التي ذكرت فيها: فبعد أن بين القوم الذين ورثوا الكتاب وصاروا يتصرفون فيه بأهوائهم، إلى غير ذلك من المنكرات، وكان ا تعالى قد أخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على ا إلا الحق، فما بالهم يقولون عليه غير الحق، إتباعا لأهوائهم، وميلا مع مطامعهم والحال أنهم قد درسوا ما فيه فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أتوا أمرهم متعمدين، وكانوا في أمرهم مستبصرين، وهذا أعظم للذنب، وأشد للوم، وأشنع للعقوبة، وهذا من نقص عقولهم، وسفاهة رأيهم، بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، ولهذا قال: والدار الآخرة خير للذين يتقون ما حرم ا عليهم من المآكل التي تصاب وتؤكل رشوة على الحكم بغير ما أنزل ا ، وغير ذلك من أنواع المحرمات. أفلا تعقلون أي: أفلا تكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إيثاره، وما ينبغي الإيثار عليه، وما هو أولى بالسعي إليه، والتقديم له على غيره [72].

المثال الرابع: ومن أمثلة التخبط الذي مرجعه تجاهل اللغة العربية وما لها من قواعد كتفسير الرافضة للآية التي تدل على إباحة الإسلام للمسلمين تعدد الزوجات بأربع قوله تعالى: {وإِن خفْتُم أَلا تُقْسطُواْ في الْيتَامى فَانكحواْ ما طَاب لَكُم من النساء مثْنَى وثُلاَثَ ورباع فَإِن خفْتُم أَلا تَعدلُواْ فَواحدةً أَو ما ملَكَتْ أَيمانُكُم ذَلِك أَدنَى أَلا تَعولُواْ}[73]، فقد زعموا أن العدد الوارد في النص القرآني (مثنى وثلاث ورباع) يدل على إباحة تسع زوجات، وحجتهم في هذا: أن الواو فيها جامعة كما زعموا، ومجموع الإثنين والثلاث والأربع هو تسع، وأغرب من هذا ما ذهب إليه بعض أهل الظاهر حيث قالوا بإباحة الجمع بين ثمان عشرة زوجة، تمسكا منهم بأن العدد في صيغة مثنى وثلاث ورباع) يفيد التكرار، والواو فيها للجمع، ومن ثم جعلوا (مثنى) بمعنى اثنتين اثنتين و(ثلاث) بمعنى ثلاث ثلاث و(رباع) بمعنى أربعة أربعة، ومجموع ذلك في تصورهم ثمان عشرة.

إن مثل هذا التفسير إن دل على شيء فإنما يدل على جهل من الطائفتين باستعمال هذه الصيغة في اللغة العربية[74] لأن ا تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات فصيغة (مثنى) و(ثلاث) و(رباع) معناها اللغوي هنا اثنين أو ثلاث أو أربع زوجات[75] كما انه خوض في القرآن الكريم على غواية وعماية وتكاف واضح صريح يتعارض مع ما تضمنه من هداية وإرشاد فضلا عما فيه من مخالفة للسنة الصحيحة وإلى ما استقر عليه إجماع جمهور المسلمين منذ عصر النبي صلى ا عليه وسلم، وهو أن منتهى حد تعدد الزوجات في الإسلام أربع نسوة[76].

ومن أسباب بدع التفاسير اللغوية حمل النصوص القرآنية ما لا تحتمله من تفسيرات لألفاظ بمعاني مستهجنة لا تتوافق مع قواعد اللغة وعلوم الشريعة.ومن أمثلة ذلك:

(أ) ما قيل في تفسير كلمة (الخيانة) الواردة في قوله تعالى: (ضرب الله مثَلاً للذين كَفَروا امرأَةَ نُوحٍ وامرأَةَ لُوط كَانَتَا تَحتَ عبدينِ من عبادنَا صالِحينِ فَخَانَتَاهما فَلَم يغْنيا عنْهما من الله شَيئاً وقيلَ ادخُلَا النار مع الداخلين[77]،

فقد قال البعض ان المراد بها هنا: الزنا. نظرة متأنية لهذا التفسير الذي أورده بعض المفسرين لهذه المفردة يحكم على بطلانه نقلا وعقلا، أما من حيث النقل فقد أخرج غير واحد عن ابن عباس رضي ا عنهما (ما زنت امرأة نبي قط)، وقول سعد بن عبادة مشهور عندما قال: (لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح) قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، وا أغير مني، ومن أجل غيرة ا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)[78] فكيف يرضاها في بيت رسول يختاره لتلقي وحيه ودعوة الناس إلى عبوديته، ثم لو ثبت وقوع الزنا منهما لأسرع قوم لوط ونوح إلى تعييرهما والتشنيع عليهما لكنه لم يثبت ذلك، ثم أليس أكبر عار يلحق الرجل ويقال هيبته بين أهله ويسقط كرامته وقوع الزنا في أهله؟ فكيف ينسب إلى رسولين كريمين نوح ولوط عليهما السلام وهما يتصدران الزعامة بين شعبيهما؟ مما تقدم بيانه تبين لنا أن تفسير كلمة الخيانة بالزنا أمر مرفوض يعتبر من بدع التفاسير التي يتعين لفظها ورفضها، فإذا كان الأمر كذلك، فماذا يراد من كلمة الخيانة هنا؟ (قال ابن عباس خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه وكانتا مع ذلك كافرتين)[79] فالمخالفة إذن كانت في العقيدة، والخيانة في الدين، ومساعدة الكفار على زوجيهما، لا خيانة النسب والفراش فإنه ما بغت امرأة نبي قط[80].

(ب) تفسير كلمة (واهجروهن) الواردة في قوله تعالى: {واللاتي تَخَافُون نُشُوزهن فَعظُوهن واهجروهن}[81]، فقد قال البعض إن معنى هذه الكلمة: وأكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير إذا ربطه بالهجار، وهذا في الواقع تفسير الثقلاء كما أشار العلامة الزمخشري[82] وكان كذلك لأن (الزوجة إذا كانت ناشزا ومتمردة على الزوج، فهل يليق به أن يرغمها على الجماع، ويربطها من أجله، إلا أن يكون سمجا ثقيل الظل، عديم الشعور والإحساس)[83] إن مثل هذه المعنى القبيح يجب تجنبه، وتنزيه ساحة القرآن عنه، لما فيه من إساءة بالغة لهذا الكتاب والمعنى السديد لهذه الآية الكريمة (واهجروهن برفض المضاجع أو بترك المضاجع وقال سعيد بن جبير هي هجرة الكلام أي لا تكلموهن وأعرضوا عنهن فيقدر حذف تقدير واهجروهن في سبب المضاجع حتى يراجعنها)[84] وغير ذلك من الأمثلة[85]، ذلك أن مثل هذا التفسير القائم الغير ملتزم بأسس اللغة العربية، ميدانه فسيح لأهل البدع والأهواء وأصحاب الاتجاهات المنحرفة[86].

المطلب الثالث
بدع التفاسير اللغوية المحدثة

كنت قد تحدثت عن أسباب البدع اللغوية وأوردت أمثلة لتأويلات باطلة قالت بها بعض الفرق المنحرفة فجاءت آراؤهم متناقضة مع التفكير الحق، وفي هذا المطلب سأتعرض إلى كشف عورات تأويلات فاسدة لبعض المحدثين الذين استخدموا آلية التأويل في النصوص، والأحكام القطعية دون مراعاة لضوابط التفسير وشروطه الصحيحة.

لقد بدت طرائق متعددة في تفسير كثير من قضايا القرآن الكريم ومسائله في القرن التاسع عشر الميلادي إلى جانب ما يسمونه بالمذهب العلمي، وقد كان لهذا المذهب الجديد في اتجاهه لتوضيح كتاب ا تعالى أساسا في تفسير القرآن وفهمه عند طائفة من الباحثين الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوروبية الحديثة ممن لم تترسخ حقائق الإيمان في قلوبهم ولا تجلت حقائق العلم الحديث وروابطه في عقولهم، فتنادوا فيما بينهم إلى التحرر من كل عقيدة ليست مدركة ولا تقع تحت الحواس ولم تصل إليها اكتشافات العلم الحديث ولا تخضع لسلطان العلم التجريبي، ولتحقيق ذلك اقتضى منهم أمورا عدة، منها: تطوير كتابة التفسير وفهمه واعتماد منهج آخر في تحليله، وكذلك كتابة أحداث السيرة النبوية التي لم تعتمد في مادتها على المصادر الأصيلة[87]، والمقصود من هذا كله إثارة الشبه والبلبلة في صحة ما جاء في القرآن الكريم ومن كتب الحديث.

ومن أشهر هذه الكتب التي تمثل هذا الاتجاه، كتاب (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)[88]. ومن كتب السيرة (حياة محمد)[89]، حتى أن مؤلفه نراه يعتز باتجاهه ويفتخر[90]. وأما في مجال التفسير ممن نهجوا طريقة الاستنتاج الشخصي والمذهب العلمي فهي كثيرة[91].

نماذج من بدع التفاسير اللغوية المحدثة

النموذج الأول: تأويلات حول لباس المرأة

ذكرت آنفا أن من الكتب التي حظيت ببدع التفاسير اللغوية كتاب (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) والواقع أنه يعد أنموذجا لكل من أراد الابتعاد عن المنهج العلمي السديد في التعامل مع كتاب ا تعالى، لما تضمنه من بدع لا يقبلها الشرع ولا يؤيدها النقل.ولما كان البحث لا يسمح باستقراء كل ما كتبه هذا المؤلف والرد عليه،فقد كفاني بعض الغيورين على الإسلام الذين ردوا على أكاذيبه بالمنطق السديد والحجة

الظاهرة[92]، لذا سأقتصر على ذكر بعض بدع التفاسير المتعلقة بالمرأة المسلمة التي خصها تحت باب (نموذج للفقه الجديد في دراسة المرأة في الإسلام) فقد استطرد في هذا الموضوع الذي اعتبره من أكثر المواضيع حساسية[93]، ويرى المؤلف أنه إلى هذه اللحظة (لم يتم تقديم بحث أصيل حول المرأة في الإسلام)[94]، وخاص الباحث بعد تلك الدراسة إلى القول: (واللباس الذي فرض عليها جميعها سلاسل وأغلال، أفقدت المرأة مواهب الإبداع والمبادرة)[95]، والحقيقة أني لن أقف عند كل ما أورده من قضايا تتعلق بالمرأة فهذا شيء كثير لا يحتمله هذا البحث، وإنما سأخص بالذكر قضية مهمة أثارها المؤلف فيما يتعلق بلباس المرأة، لأبين مكامن التأويل الفاسد الذي استعمله المؤلف في حق الآيات القرآنية الدالة عليها، فقد أورد كلاما مشبوها من خلال تعرضه لتأويل الآيتين الواردتين في سورة النور قوله تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...)[96] وقوله: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...)[97]، فقد بين أن الزينة المقصودة في الآية السابقة متطورة وليست محصورة بمكان معين أو زمان معينة، ومن هنا يرى (أن التقدم والتطور العلمي سيملآن الأرض بالزينة المكانية والشيئية، فإذا كانت الزينة مكانية فجسد المرأة كله زينة، والزينة هنا حتما ليست المكياج ولا الحلي وما شابه ذلك، وإنما هي جسد المرأة كله، والله سبحانه خلق الرجل والمرأة دون ملابس)[98] ثم تعرض المؤلف إلى بيان المعنى اللغوي المراد للجيوب الواردة في قوله تعالى (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) فالجيوب كما يرى (من جيب كقولنا جبت القميص، أي قورت جيبه وجيبته أي جعلت له جيبا، لذا الجيب: كما نعلم هو فتح له طبقتان لا طبقة واحدة، لأن الأساس في جيب هو فعل جوب في اللسان العربي له أصل واحد، وهو الخرق في الشيء، فالجيوب في المرأة طبقتان مع خرق، وهي: ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين، هذه كلها جيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها، لذا قال: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ)[99]، وعلى ضوء ما ذهب إليه من تفسير لتلك الآية الكريمة صرح بالقول: (قد يقول البعض: هذا يعني أن المرأة المؤمنة يحق لها أن تظهر عارية تماما أمام هؤلاء المذكورين في نص الآية، أقول نعم يجوز إن حصل ذلك عرضا، وإذا أرادوا أن يمنعوها فالمنع من باب العيب والحياء (العرف) وليس من باب الحرام والحلال لأنه شملهم مع الزوج فعلى المرأة المؤمنة أن لا تحرج من هؤلاء)[100].

نظرة متأنية تلمس تهافت كلام المؤلف لاعتماده على أسس واهية غير مقيدة بمناهج علمية صحيحة، فهو يميل إلى المغالطة المقصودة المتعمدة لغايات خبيثة في نفسه، وإني لأعجب من هذا المؤلف ومن يشبهه كيف وصلوا إلى هذا الهبوط المسف. ومع ما في هذه التأويلات السابقة من إثارة وبعد عن الحق، فإنه يتعين علينا في هذا المقام أن نرد عليه بمنهجية سديدة، ترى هل التزم بما أخذه من عهد على نفسه من التقيد باللسان العربي بناء على فهم اللغة العربية، واعتبار قواعد اللغة العربية الأصل في تفسير كتاب الله تعالى[101]؟ وهل منعته النزاهة العلمية في تحري الحقيقة والبحث عن الصواب أو تجنب التأويلات الضالة؟ إن أسلوب المؤلف وطريقة تفسيره للآيتين السابقتين يدل بما لا مجال للشك أنه لم يتقيد بالدلالات اللغوية، ولم يضبط المصطلحات ولذا كان قوله في غاية الخلط واللبس وبيان ذلك:

يرى علماء اللغة أن أصل (جيب) الوارد في النص السابق يختلف عن أصل (جوب) الذي يعني (اخترق) وهو المراد الذي أراده المؤلف، فالجيب في معاجم اللغة هو (جيب القميص والدرع، والجمع جيوب، وفي التنزيل: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) وجبت القميص: قورت جيبه، وجيبته: جعلت له جيبا، وأما قولهم جبت جيب القميص فليس جبت من هذا الباب، لأن عين جبت إنما هو من جاب يجوب، والجيب عينه ياء لقولهم: جيوب، فهو على هذا من باب سبط وسبطر ودمث ودمثر، وأن هذه ألفاظ اقتربت أصولها واتفقت معانيها وكل واحد منها لفظه غير لفظ صاحبه)[102]، فأنت تلاحظ أنه وقع في الخلط بين معنى كل من كلمة الجيب وكلمة الجوب هذا من جانب، وجانب آخر نريد أن نوجه سؤالا للمؤلف الكريم وقد ذكر كلمتي العيب والحرام، ما المعيار الدقيق لتلك الكلمتين وما المقياس الذي يقاس به العيب؟ ألا يفسر هذا العيب عند الإباحيين من أجمل صور التعري، وإبراز مفاتن النساء بناء على تأويله الذي جعل هذا من العيب، وهو عند العارفين بالله والمؤمنين به من الكبائر؟ وأمر آخر نرد به عليه أنه لم يتقيد بالدلالات الشرعية في النصوص القرآنية، وكما هو مقرر عند علماء الأصول أن التأويل في النصوص إنما يكون في الظنيات، كما وضعوا شروطا لتحقيقه من أبرزها: عدم مخالفته للنصوص القطعية، والمؤلف عندما بحث هذه القضية حصر الكلام عن لباس المرأة فقط، ونسي مواقعها المختلفة في القرآن الكريم، وتغافل كثيرا عن شواهد النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة فقط بلباس المرأة والتي تدل في جملتها على حشمة المرأة وحرمة تعريها. من ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل

النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[103]، ثم أليس في قوله جواز تعري المرأة، مخالفة لإجماع علماء الأمة من لدن عصر رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى يومنا هذا على حرمة تعري المرأة ووجوب حشمتها عن الأجانب. وفي هذا المقام يقتضي أن أذكر ماذا قال المفسرون[104] عند تفسير قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} ليتوضح لنا فساد ما ذهب إليه الباحث من تأويلات فاسدة. الخمر واحدها خمار، يعني المقانع يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر ا المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} الأحزاب الآيه 59، وقال في هذه الآية الكريمة (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطى به الرأس، وهي التي تسميها الناس المقانع، قال سعيد بن جبير (وَلْيَضْرِبْنَ) وليشددن (بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء وقال البخاري: حدثنا أبي عن يونس قال بن شهاب عن عروة عن عائشة رضي ا عنها قالت يرحم ا نساء المهاجرات الأول لما أنزل ا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن بها)[105] وروى البخاري كذلك: عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي ا عنها كانت تقول (لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها)[106].

الأنموذج الثاني: دعوى الأعجمية في كتاب ا تعالى

ذهب بعض المفسرين الى القول بأن هناك كلمات كثيرة في القران الكريم غير عربية، إن مثل هذا الإدعاء في كتاب ا تعالى يفتح باب الاحتجاج أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها[107]، ولا يتذوقون اللسان الذي جاء به، وهذا مخالف لما اتفق عليه علماء الإعجاز وغيرهم أنه أنزل بلغتهم وعلى أساليب بلاغتهم وكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه.[108] والعجيب أن هذا الادعاء قد ورد في الموسوعة البريطانية الذي كان من المفروض أن تترفع عنه ولا تتفوه به لزعمها أن أول سماتها العلم والمعرفة. ومما جاء فيها من ادعاءات أن مادة (القرآن) ليست من أصل عربي، وإنما هي معربة عن السريانية وكذلك كلمتي الإيمان والصلاة فالأولى عبرية أو آرامية وكلمة الصلاة آرامية وغير ذلك من المفردات التي زعمت أنها مشتقة من أصول غير عربية[109]. والسبيل للرد على هذا الزعم وفق الضابط السديد الذي يحول بين اللغة العربية وبين أي كلمة غريبة دخيلة[110]، نقول وبا التوفيق:

أولا كلمة (القرآن): هذه الكلمة اختلف العلماء في أصل اشتقاقها يحسن أن أذكر بعضها: قيل إنها مشتقة من قرنت الشيء بالشيء، وقيل من القرائن، وقول ثالث: مصدر قرأ يقال: قرأه يقرؤه وقراءة قرآنا فهو مقروء[111]، وهذا المعنى هو ما قرره ابن فارس[112] وغيره من أصحاب المعاجم.

فبعد هذا يستقيم لقائل أن يقول إن لفظة القرآن غير عربية؟ إن ذلك الإدعاء أشبه بقول من يقول إن لسان العرب غير عربي إذ القرآن هو معجزة هذا اللسان، وقد جعل ا تعالى هذه الكلمة عنوانا لكتابه المبين، وإذا كانت اللغة عاجزة عن أن تقدم كلمة واحدة هي رايتها والشارة الدالة عليها، فكيف تستطيع أن تحمل هذه اللغة معجزة أساسها الكلمة وبنيتها الكلام، هل يعقل هذا[113]؟

وأما كلمة (الإيمان): لو رجعنا إلى معاجم اللغة العربية نبحث عن أصلها اللغوي، وإلى كتب التفسير المعتمدة، لوجدنا أنها عربية الأصل.

جاء في لسان العرب: والأمن ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب، ويقال: آمن به قوم وكذب به قوم...[114]. أليس في هذا البيان دليل قوي محكم على أن كلمة (الإيمان) من لب العربية وأساسها؟

وأما كلمة (الصلاة) فانظر ما قال اللغويون وأهل التفسير في أصل اشتقاقها[115].

وبعد: فهل بعد هذا البيان والكشف يمكن أن يقال عن تلك الكلمات وغيرها أنها من أصل غير عربي؟ إن ما دعاهم إلى هذا الزعم إلا لجهلهم بحقيقة اللغة العربية، وعدم تذوقهم لأسرارها ودراستهم لها دراسة سطحية، وبالتالي فإن ما يطلقونه من أحكام متهورة على لغة غير لغتهم إنما هي افتراضات لا يؤيدها العقل السليم ويردها التحقيق العلمي السديد[116].

الأنموذج الثالث: تأويل خوارق العادات

من الحقائق الثابتة لدى ثقات العلماء أن خوارق العادات

الواردة في كتاب ا تعالى وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم لا تكون إلا من ا تعالى[117]. ومع وضوح هذه الحقيقة فقد جاء من يؤلها تأويلا لينزع صفة الإعجاز منها رغم ورود ما يدل عليها من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، وإليك نماذج من تلك البدع اللغوية حيث جاءت بعيدة عن قواعد اللغة وأسرارها وغير معتمدة على المعارف الشرعية.

(أ) فقد أول انشقاق القمر في قوله تعالى: {اقْتَرَبت الساعةُ وانشَق القَمر}[118]، أن ذلك سيقع عند حلول الساعة، أعني القيامة، والواقع أن هذا التأويل جاء مخالفا لما ذهب إليه الثقاة من أهل التفسير أن القمر قد انشق وأنه آية يدل على صدق الرسول صلى ا عليه وسلم يقول السعدي في تفسير النص السابق: (يخبر ا تعالى أن الساعة اقتربت وحان وقت مجيئها ومع هذا فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، ويريهم ا من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على مثله آمن البشر، فما أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه أشار صلى ا عليه وسلم إلى القمر فانشق فلقتين على جبل أبي قبيس، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية العظيمة الكائنة في العالم العلوي التي لا يقدر الخلق على التمويه بها)[119]. هذا وإذا كان النص القرآني واضح في وقوع هذه المعجزة لرسول ا صلى ا عليه وسلم فقد جاء به متواتر السنة، فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي ا عنه قال (انشق القمر على عهد رسول ا صلى ا عليه وسلم شقتين فقال النبي صلى ا عليه وسلم اشهدوا)[120]. ثم إن تأويلهم بأنه سيقع عند حلول الساعة أليس (يأباه التعبير بفعل الماضي وما جاء بعده الدال على أنه آية أي معجزة والقرآن يعبرعن المعجزات بالآيات. فالقرآن صريح بانشقاق القمر على صيغة الماضي)[121].

(ب) ومن خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الأنبياء مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول في سورة الفيل (أَلَم تَر كَيفَ فَعلَ ربك بِأَصحابِ الفيل). (أَلَم يجعلْ كَيدهم في تَضليلٍ) (وَأَرسلَ عليهم طَيراً أَبابِيلَ). (تَرميهم بِحجارة من سجيلٍ). (فَجعلَهم كَعصف مأْكول)[122]. ورغم وضوح الآيات التي تضمنتها هذه السورة الكريمة التي خاطب ا تعالى فيها نبيه يذكر نعمته عليه، فقد فسر محمد عبده وهيكل ومن سار على نهجهما (طَيراً أَبابِيلَ) بداء الجدري وكان هذا الوباء على حد زعمهم (قد تفشى بالجيش وبدأ يفتك به... ولعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر وأصابت العدو أبرهة نفسه. وبذلك أرخ أهل مكة بعام الفيل هذا وخلاه القرآن بذكره (أَلَم تَر كَيفَ فَعلَ ربك بِأَصحابِ الفيل)[123].

إن هذا التفسير لا يتوافق مع قواعد اللغة وترده الأخبار المتواترة. ويتعارض مع ما حققه أهل التفسير، قال ابو حيان: (أَلَم تَر) ألم تعلم قدرة ا على وجود علمه بذلك إذ هو منقول نقل المتواتر فكأنه قيل قد علمت فعل ربك بهؤلاء الذين قصدوا في ضلال كيدهم وأهلكهم بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها أنها تقتل[124] ومعنى: (طيراً أبابيل) أي أقاطيع يتبع بعضه بعضا كالإبل المؤبلة[125] تحمل أحجارا محماة من سجيل فرمتهم بها وتتبعت قاصيهم ودانيهم فخمدوا وهمدوا وصاروا كعصف مأكول وكفى ا تعالى شرهم ورد كيدهم[126]. وممن رد هذا القول الدكتور عبد الوهاب، فقد أورد كلاما جيدا قال فيه: (إن هذا التأويل الغريب الذي ذكره الشيخ محمد عبده هنا بعيد عن روح الآية، ومخالف لسياق الكلام وذلك من وجوه)[127] نذكر جانبا منها:

إن الجراثيم والميكروبات التي قال عنها إنها فرق وجماعات لم يعهد في لغة العرب تسميتها بالطير الأبابيل، فضلا عن أن العرب لم يكن لهم علم قط بما يسمى بالجراثيم والمكروبات، فكيف ساغ له أن يفسر الآية بشيء لا يعرفه العرب وليس له ذكر في لسانهم. ثم: إنه أطلق على المكروب أنه حجارة وأن الذباب يرمي بالحجارة أي المكروب - عند مكتشفيه - نوع من أنواع الحجارة، وأظن أن هذا نوع من التعسف في التأويل أو أنه كائن حي كما اعترف هو نفسه بذلك؟ ويضيف قائلا:وهل الذباب إذا أصاب أحدا بالمكروب يصح أن يقال عنه، إنه رماه بالحجارة، أم إنه الولوع بما هو جديد في عالم الطب بصرف النظر عن سياق الآية ومدلولات الألفاظ؟ ووجه آخر: أنه أراد أن يشكك في صحة الروايات التي وردت في قصة الطير الأبابيل. كما أن سياق الآيات يدلنا دلالة واضحة في أن الكلام على حقيقته وليس فيه تجوز، وأن ذلك إنما هو إشارة إلى أمر خارق للعادة حدث في العام الذي ولد فيه رسول ا صلى ا عليه وسلم تكريما لمولده، واحتفاء بمقدمه وإرهاصا بمبعثه، فهل موت أصحاب الفيل بواسطة الجراثيم والمكروبات التي تسبب في حدوث الأمراض يعد أمرا خارقا للعادة جديرا بالتنويه به في سورة قرآنية؟ اللهم لا، إذن فمن حق القرآن علينا أن نرفض هذا التأويل الغريب للسورة[128].

(ج) ومن الخوارق المتعلقة بالأنبياء كموسى عليه السلام التي تطاول البعض أن يقول فيها ما لا ينبغي أن يقال غير ملتفت إلى أصول التحقيق، تفسير كلمة (البقرة) في قوله

تعالى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً...)[129] أنها طائر. فقد جاء في كتاب رسالة الفتح: (معنى بقرة: طائر، فقد رأى العزيز في المنام سبع طيور سمان يأكلهن سبع طيور عجاف)[130]، ولم يقف الأمر عند هذا التفسير بل تبعه مفسر آخر ليقول في الآية السابقة تأويلا آخرأشد غرابة[131] هو: أن الآية تقرر تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي فقال: (وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه)، ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر[132]. وهناك من فسر مفردة (البقرة) بالإشارة والرمز: أنها تعني: (النفس الحيوانية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة النظر لا تثير أرض الاستعداد بالأعمال الصالحة)[133].

أليس فيما تقدم بيانه من عدم مراعاة اللغة عند تفسير النصوص القرآنية تقليل لشأن المعجزة، إن ما ذهب إليه هؤلاء المؤولة مخالفا لما وضحه أهل التحقيق لمعنى النص القرآني الدال على أن قتيل بني إسرائيل كان معجزة لموسى عليه السلام، وأخبر الله تعالى أنه يحييه وذلك يقتضي الإخبار بقاتله خبرا قاطعا لا يحتمل التأويل[134].

إن تفريغ الإسلام من حقائق الغيب، ورفض ما ثبت من خوارق العادات في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة بحجة أنها لا تتوافق والسنن الطبيعية وتختلف مع مدارك العلم الحديث يكون ذريعة إلى رفض الوحي الإلهي كله بما يتبعه من أخبار عن السمعيات التي لا تؤخذ إلا بالتوقيف بالحجة الطبيعية ذاتها، ومن الأمثلة على ذلك: ما ذهب إليه مصطفى محمود في كتابه محاولة لفهم عصري، عند تفسير قوله تعالى: (مثَلُ الْجنة التي وعد الْمتقُون فيها أَنْهار من ماء غَيرِ آسنٍ...)[135] يقول: (إن كل ما جاء عن الجنة والنار ما هو إلا ألوان من ضرب المثال وألوان من التقريب وألوان من الرمز ذلك لأن الآية تبدأ بضرب المثل وليست إيرادا لأوصاف صرفة، فهذا أمر مستحيل لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا)[136] ولا يخفى على أولي البصائر أن هذا الكلام يتنافى مع عقيدة المسلم، لا علاقة له بما قاله، وإنما هي خواطر في خيال هذا الباحث فالصقها في التفسير، ولا أدري كيف أجاز لنفسه أن يقول انها ألوان من الرمز؟ والنص واضح في دلالته، فالله تعالى قد وعد المتقين الجنة التي فيها أنهار من ماء غير آسن غير متغير الطعم والرائحة (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصا ولا خازرا كألبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة ليس فيها طعم وريح ولا غائلة سكر وإنما هي تلذذ محض ولذة)[137].

وبعد: فهذه نماذج من بدع التفاسير اللغوية جاءت نتيجة تأويلات بعض المؤلفين قديما وحديثا لأساسيات في الدين الإسلامي وردت في كتاب الله تعالى، أو السنة المباركة الصحيحة، دون مراعاة لضوابط التفسير، وأطره التي أقرها العلماء المحققون، سقناها على عجل لنبين مدى الخلل الذي أصاب آلية التأويل التي استعملها هؤلاء وخصوصا غير المتخصصين في ميادين الشريعة واللغة، ولا أدري كيف سمح بعض علمائنا - رحمهم الله تعالى - لأنفسهم وهم الذين تربوا في ظل القرآن الكريم والسنة المباركة أن يضموا تفاسيرهم مثل هذه البدع، والتي كادت أن تصرف الناس عن هداية القرآن وتلهيهم عن تدبر آياته والانتفاع بعظاته وعبره إلى أمور لا قيمة لها و تفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها والبحث عنها مضيعة للوقت؟ كيف أباحوا لأنفسهم ذلك وهم أئمة الأدب والبيان القادرون على تمييز الغث من السمين والكذب من الصدق وعلى إدراك ما في هذه الخزعبلات وتلك الترهات من خطورة تنعكس آثارها على عقائد المسلمين؟ إن الأولى بهم وقد أكرمهم الله تعالى بتلك الوسائل أن يبرزوا عرائس الإعجاز بأثواب قشيبة ومظاهر خلابة جذابة لا أن يضعوا الشوك في طريق المشتغلين في تفسير كتاب الله تعالى والراغبين في الوقوف على معانيه بان يذكروا ما لا يصح ذكره في علم التفسير.

ويا ليت الذين فسروا القرآن تفسيرا علميا انضبطوا بمآلات الشريعة وأحكامها وقواعد اللغة العربية بفنونها وأفنانها ثم أفادونا بما تحصلوا عليه من علوم تطبيقية حديثة، فجمعوا بين الأصالة والمعاصرة بأسلوب علمي رائع جذاب يخدم دين الله تعالى.

المطلب الرابع
ضوابط التفسير

بينت فيما سبق بعض أسباب بدع التفاسير اللغوية، الأمر الذي ترتب عليه قصور واضح عن فهم مراد الله تعالى في كلامه مما أتاح الفرصة لأعداء الله تعالى (أن يتسوروا حصونه المنيعة ويقتحموا أسوار بلاغته الرفيعة)[138]. وفي هذا المطلب سأبين أن التفسير المنضبط هو الذي يقوم على إطار منهجي موضوعي وضوابط علمية اصطلح عليها العلماء المحققون، ترشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه التفسير الحقيقي، وقد حددها الطوفي بثلاثة عشر علما: علم الغريب وعلم التصريف وعلم الإعراب، علم القراءات، علم أصول الدين، علم التاريخ،علم الوعظ، علم الناسخ والمنسوخ، علم

أصول الدين، علم الفقه، علم أصول الفقه، علم المعاني، علم البيان[139]، كما ان السيوطي قد أفرد لها فصلا في إتقانه ما ينبغي على المفسر أن يتقيد فيه من شروط وآداب[140]، وغيرهما من العلماء الذين وضعوا ضوابط للتفسير[141]، ولما لم يكن من أغراض هذا البحث ذكر هذه الشروط وتفصيلات العلماء فيها، لذا سأخص بالذكر ما هو مدار هذا البحث وأساسه أعني: ما يدور حول اللغة وعلومها، وهذا السمين الحلبي يرى أن أوثق العلوم بكتاب ا تعالى بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم علم الإعراب، علم التصريف، علم اللغة، علم المعاني، علم البيان[142] وهذا يؤكد على أهمية اللغة العربية في تفسير كتاب ا تعالى.

إذن إدراك اللغة وإعمال المنطق اللغوي وتحكيمه في تفهم الآيات القرآنية يعد من أهم مصادر التفسير إن لم يكن أهمها على الإطلاق ولذاك كان هذا المصدر هو الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها المصادر جميعا وإليك بيان ذاك:

حقيقة أقر بها العلماء أن من أهم ركائز التفسير إعمال المنطق اللغوي في إظهار حقائق التنزيل بما هو أصل مشتق من طبيعة النص القرآني الذي للعباد سبيل إلى تفسيره ما دام لم يرد في هذا المجال من كتاب ا تعالى وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم ما يحدد المعنى، ومن هنا نجد جل العلماء كانوا قد ارسوا دعائم المنهج اللغوي في التفسير توسعة وتنمية، واتخذوا من قوانين اللغة العربية وخصائصها في البيان أداة وأسلوبا للتعبير عن معانيه يختارون من ذلك ما يعينهم على توجيه تفسيره ربطا منهم لأفصح كلام العرب شعرا ونثرا وأبلغ الشواهد المشهورة دون النادر منها لأن كتاب ا تعالى نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف[143].

إذن نزول القرآن الكريم باللغة العربية يعني أنها أصبحت لغة تلك المعاني التي تضمنتها بشكلها الصحيح الذي يتناسب مع طابعها الإلهي. فا تعالى قد منح القرآن الكريم اللغة العربية بما وهبها من المعاني الرائعة والألفاظ المتطورة والأساليب الرفيعة[144].

وليس من شك أن حيازة اللغة على مثل هذا الكمال وقدرتها على احتواء وحي ا تعالى وتنزيله، يدل دلالة واضحة أنها فذة من حيث مقوماتها ومكوناتها ومن حيث أسسها وقواعدها ومن حيث خصائصها[145]، ولذا جاء القرآن الكريم ليبين منزلتها في الإسلام وأنها من خصائص منهج ا تعالى. قال ا تعالى: {إنا أَنزلْنَاه قُرآناً عربياً لعلكُم تَعقلُون}[146]، وغيرها من الآيات التي تجعل منها سرا من الأسرار الربانية الحكيمة، ومعجزة من المعجزات الإنسانية الخارقة، ومن هنا اشترط العلماء على المفسر معرفة هذا الفن واعتبروه ضروريا، وإلا فلا يحل للمفسر الإقدام على تفسير كتاب ا تعالى.قال يحيى بن نضلة المديني: (لا يحل لأحد يؤمن با واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب ا إذا لم يكن عالما بلغات العرب)[147]، وهذا ما أكده الزركشي[148] والسيوطي[149]، والأمثلة على استخدام الصحابة اللغة في تفسير غريب القرآن الكريم كثيرة، فليرجع إليها من رغب الاستزادة في العلم[150]. ولأهمية اللغة العربية في توضيح معاني القرآن الكريم، ورد على ألسنة أئمة علماء البلاغة ما يدل على ذلك، منهم أبو هلال العسكري[151] وعبد القاهر الجرجاني[152] ولعل الزمخشري أشهر المفسرين اهتماما بالبلاغة ويكاد كشافه يكون عمدة في هذا الاتجاه وقد أوضح منهجه في المقدمة.[153] فقد أوردوا مقتطفات تدل في جملتها على أهمية اللغة وما يتعلق بها، لما اتصفت به من صفات وخصائص تجعل منها سرا ومعجزة.

فإن كان الأمر كذلك فأي مسوغ للاعتماد على كثير مما قام الدليل على رفضه جملة وتفصيلا في تفسير النصوص القرآنية مع جلاء اللغة وقدرتها على استنطاق النص وكشف معناه، لولا أن وراء الأكمة ما وراءها[154]. علينا أن ندرك قدر تلك اللغة وقيمتها ونستيقظ من سباتنا ولا نلتفت نحو الدسائس التي تحاك لنا من قبل أعدائنا والمتألبين علينا في السر والعلن، فقد أدركوا أهميتها وخطورة منزلتها في الإسلام، وفي فهم كتاب ا تعالى، وسنة رسول ا صلى ا عليه وسلم، فكان من أهم محاولاتهم إضعاف صلة المسلم بلغته العربية وإضعاف شعوره بضرورة التمسك بها ودس أقوال كاذبة، وآراء فاسدة مريبة في تفسير كتاب ا تعالى لتصرفه عن لغة دينه ورسالته في الحياة، ان هذه اللغة لغة القرآن الخالد أبد الدهر التي تنزل ا تعالى بها على رسول ا صلى ا عليه وسلم حيث يقول: {إنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإنا لَه لَحافظُون} الحجر الآية 9، فا إذ يحفظ القرآن العظيم، فإنه يحفظ بحفظه اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين.

وما أجدرنا نحن العرب خاصة بحمل هذه الأمانة التي كرمنا ا تعالى بها، يقول ا تعالى: {لَقَد أَنزلْنَا إِلَيكُم كتَاباً فيه ذكْركُم أَفَلَا تَعقلُون} الأنبياء الآية 10، فلنعتكف على معجزتنا الفذة الفريدة هذه نبدعها في هذا العصر من جديد فننقذ بها البشرية التي هي اليوم في اشد الحاجة إلى الإنقاذ، ونخلص بها عالما هو الآن في أشد الحاجة إلى الخلاص من واقع تفسير يقوم على الانضباطية بالسليقة العربية النقية إلى

جانب الشروط الأخرى التي تعين على توضيح مراد الله تعالى في كتابه العزيز.

الخاتمـة

ظهر لي من خلال هذا البحث بعض النتائج يمكن تلخيصها في النقاط الاتية:

أولا: بدع التفاسير اللغوية مخالفة شرعية لا بد من التنفير منها، لأنها من الأمور المستحدثة في الدين جاءت على خلاف ما أمر الله تعالى به.

ثانيا: المقصود من بدع التفاسير اللغوية: الأقوال الضالة والآراء الفاسدة والمفاهيم الباطلة التي لا أساس لها في اللغة ولا تمت للدين بصلة وما إلى ذلك من أطر التفسير التي اشترطها العلماء الثقات لتفسير كتاب الله تعالى.

ثالثا: الأسباب التي أدت إلى وجود بدع التفاسير اللغوية كثيرة أهمها:

- عدم الالتزام بقواعد اللغة العربية وأسرارها من نحو وصرف ونحوهما؛ مما ترتب عليه التمسك بمفاهيم نصوص قرآنية لا علاقة لها بها.

رابعا: التفسير المنضبط هو الذي يقوم على إطار منهجي، وضوابط علمية اصطلح عليها العلماء المحققون ترشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه التفسير الحقيقي. ومن أهم هذه الضوابط اللغة العربية من علوم الإعراب والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان، فهي أوثق العلوم بكتاب الله تعالى، لأنها الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها المصادر الأخرى جميعها في تفسير كتاب الله تعالى.

خامسا: الآثار الخطيرة التي تنتج عن تأويلات بعض المؤلفين القدامى في التفسير، وبعض المحدثين الذين استخدموا آلية التأويل، غير مقيدين بالدلالات اللغوية وغيرها من ضوابط التفسير التي اتفق عليها ثقاة العلماء.

الهوامـش

(1) سورة إبراهيم، الآية 4.
(2) غزلان، البيان في مباحث من علوم القرآن، ص54.
(3) المفردات في غريب القران ، المقدمة ص6.
(4) انظر المراجع الآتية: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص52؛ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج2-316؛ وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي؛ وفكرة إعجاز القرآن الكريم منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر مع نقد وتعليق للحمصي ص95.
(5) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ج1، ص906.
(6) الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص18.
(7) المعجم الوسيط، ج1، ص43.
(8) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ 210.
(9) انظر تفسير ابن كثير، وانظر تفسير فتح القدير للشوكاني، 267/2.
(10) الزبيدي، تاج العروس ج20، ص309.
(11) انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج5، ص156 وج17، ص9.
(12) انظر الآية 27 من سورة الحديد وانظر تفسيرها من المراجع الآتية: الشوكاني؛ وانظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج6، ص87؛ وانظر تفسير أبي السعود، ج6، ص209.
(13) صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر ج2/ 959؛ وانظر صحيح مسلم، ج3/ 1343، وانظر سنن ابن ماجة، ج1، ص7.
(14) منها ما يتعلق بالقراءات.
(15) ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، المقدمة، ص4.
(16) الهمذاني الاسد آبادي أبو الحسين: قاض، أصولي، من شيوخ الاعتزال، توفي 415هـ من مؤلفاته تنزيه القرآن عن المطاعن.
(17) الجرجاني، واضع أصول البلاغة، وكان من أئمة اللغة؛ من كتبه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والمغني في شرح الإيضاح، توفي عام 471هـ.
(18) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل، ص99.
(19) انظر إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص61-62.
(20) انظر المرجع السابق ص 68-69.
(21) سورة التوبة، الآية 3.
(22) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القران، ج1، ص281.
(23) انظر كتاب الإعجاز النحوي في القران الكريم لفتحي عبد الفتاح الدجني، نقلا عن رسالة السيوطي من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية، الرسالة الرابعة ص53/49؛ وانظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج12، ص299؛ ونزهة الالباء للانباري، ص13؛ وانباه الرواة ج1، ص4.
(24) الحلبي، مراتب النحويين ، لأبي الطيب، ص6.
(25) الأغاني ص12، ص298.

(26) مقدمة ابن خلدون، ص502.
(27) نزهة الالباء، ص3.
(28) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص81.
(29) انظر الفتوحات المكية، ج1، ص279-280.
(30) انظر هذه الأمثلة في كتاب: الدخيل في تفسير القران الكريم، فايد، ج2، ص173-192، تحت عنوان (أمثلة من شطحات الصوفية في التفسير).
(31) سورة البقرة، الآيتان 6-7.
(32) الفتوحات المكية، ج1، ص115.
(33) سورة البقرة، 3-4.
(34) سورة البقرة، الآية 5.
(35) سورة البقرة، الآية 6.
(36) البحر المحيط، 1/ 173.
(37) سورة البقرة، الآية 7.
(38) سورة الأنعام، الآية 110.
(39) تفسير السعدي 42/1، وانظر تفسير هذه الآيات من كتاب التفسير الوسيط للقران الكريم، الطنطاوي، شيخ الأزهر، ص27–53.
(40) تفسير البيضاوي، 1/ 156-157.
(41) سورة البقرة، الآية 8.
(42) انظر الدخيل في تفسير القران الكريم، عبد الوهاب، ج2، ص188، نقلا عن الفتوحات المكية، ج1، ص115.
(43) سورة البقرة، الآية 115.
(44) انظر المرجع السابق، ص177-178 نقلا عن كتاب فصوص الحكم، ج2، ص 113-114 بتصرف في النقل.
(45) سورة نوح، الآية 23.
(46) سورة الإسراء، الآية 23.
(47) سورة الرعد، الآية 33.
(48) سورة الزمر، الآية 3.
(49) سورة الحج، الآية 34.
(50) فصوص الحكم، ج1، ص72.
(51) تفسير ابن كثير 158/1، وانظر تفسير القرطبي 83/2، وتفسير فتح القدير للشوكاني 132/1، وكتاب الجامع لأحكام القران للجصاص 76/1، والآية 115 من سورة البقرة.
(52) سورة البقرة، الآية 144.
(53) تفسير الكشاف 206/1-207.
(54) سورة غافر، الآية 60.
(55) المحرر الوجيز 1/ 200، وانظر أحكام القران لابن العربي 52/1.
(56) سورة الأنعام، الآيات 74-78.
(57) سورة الأنعام، الآية 79.
(58) انظر تفسير السعدي 260/1، وانظر تفسير أبي السعود 154/3.
(59) سورة الأنبياء، الآية 57.
(60) سورة الأنبياء، الآية 58.
(61) انظر فتح القدير 4 /413 (بتصرف).
(62) التفسير الكبير، 192/21.
(63) تفسير السعدي، ج456/1.
(64) انظر الدخيل في تفسير القران الكريم، فايد، ج2، ص184.
(65) سورة الأعلى، الآية 6.
(66) سورة الأعراف، الآية 169.
(67) أبو السعود، 144/9.
(68) سورة البقرة، الآية 106.
(69) انظر الكشاف 740/4؛ وانظر تفسير البحر 453/8.
(70) سورة آل عمران، الآية 79.
(71) تلبيس إبليس، ص231.
(72) السعدي 1، 307 (بتصرف).
(73) سورة النساء، الآية 3.
(74) انظر تفسير القرطبي، 17/5.
(75) انظر في اشتقاقها اللغوي وتأديتها لهذا المعنى تفسير القرطبي 17/5؛ وانظر أيضا ص18 في حوار لغوي دقيق عن استعمال العرب وأهل اللسان لهذه الصيغة، يقطع بجهل كل من الطائفتين لاستعمالها العربي الفصيح، وراجع تفسير ابن كثير ج2، ص182– 184، وفيه آثار كثيرة عن رسول ا صلى ا عليه وسلم تقطع بجهل هاتين الطائفتين للسنة الصحيحة واللغة والإجماع.
(76) انظر بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة، ص 17-171.
(77) سورة التحريم، الآية 10.
(78) انظر صحيح البخاري 2002/5 باب رقم 106 ورقم الحديث السابق 5925، وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: إن ا تعالى يغار وغيرة ا أن يأتي المؤمن ما حرم ا عليه. انظر صحيح مسلم 2114/4 رقم الحديث 2761، وانظر صحيح ابن حبان 1/ 528 رقم الحديث 293،
(79) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج133/4.
(80) تفسير السعدي، 874/1.
(81) سورة النساء، الآية 34.
(82) انظر تفسير الكشاف، 363/1.
(83) المدخل في تفسير القرآن الكريم، ج78/2.
(84) تفسير ابن عطية 48/2؛ وانظر تفسير ابي السعود 174/2؛ وتفسير البيضاوي 185/2؛ وتفسير النسفي 220/1.
(85) من أراد الزيادة في معرفة الأمثلة من التفسير الإشاري غير المنضبط بقواعد اللغة فلينظر إلى تلبيس إبليس ص331-333، وكتاب فصوص الحكم والفتوحات المكية وكتب التفسير الاشاري.
(86) للاطلاع على مزيد من الأمثلة المنحرفة التي تقوم على الاستحسان والهوى، انظر الكتب الآتية:

- المدرسة الشاذلية الحديثة، عبد الحليم محمود، ص403؛ لطائف المنن لابن عطاء الاسكندري، ص248.
- وشطحات الصوفية، البدوي، ص195؛ وانظر الصوفية، محمد العبدة، ص53–54، والتفسير والمفسرون للذهبي، ج2، 395 نقلا عن الفصوص للشيخ ابن عربي، ج1، ص123، ج2، ص240-242.
- وانظر مقدمة في أصول التفسير ص81، وانظر القطع والظن في الفكر الأصولي، سامي الصلاحات، ص327- 386.

(87) يرجع في هذا الموضوع إلى فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها.
(88) مؤلفه محمد شحرور.
(89) لمؤلفه محمد حسين هيكل.
(90) انظر هيكل، حياة محمد، ص43، وانظر كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين لشيخ الإسلام مصطفى صبري، ج4، ص45، وانظر كتب فقه السيرة، محمد سعيد البوطي، ص23-25.

- من هذه الكتب كتاب الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري، وكتاب تفسير القرآن من القرآن في دائرة العلم والعقل والدافع المحسوس لمؤلفه أحمد فائق رشد وكتاب الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن ومؤلفه أبو زيد الدمنهوري وغيرها كثير.

(91) من هؤلاء أحمد عمران في كتابه، القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، ص 592- 629.
(92) شحرور الكتاب والقرآن، 592.
(93) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، 592-629.
(94) شحرور، الكتاب والقرآن، ص497.
(95) سورة النور، الآية 30.
(96) سورة النور، الآية 31.
(97) شحرور، المرجع السابق، ص606.
(98) المرجع السابق، ص606.
(99) شحرور، السابق، ص607.
(100) شحرور، ص196.
(101) ابن منظور، لسان العرب، 1/ 288 وما بعدها.
(102) صحيح مسلم، ج4، ص 2192، ج3/ 1680.
(103) انظر كتب التفسير الآتية: أبوالسعود، ج170/6، وتفسير القرطبي، ج230/12، وتفسير أحكام القرآن لابن العربي، ج3/ 382، والتفسير الكبير، ج 179/23، ن180.
(104) صحيح البخاري باب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) رقم الحديث 4480، ج1782/4.
(105) المرجع السابق، رقم الحديث 4481، ورواه أبو داود برقم 4100، وانظر ابن جرير 18120، وانظر تفسير ابن كثير، ج3/ 284-285.
(106) التعريف بالقرآن والحديث للشيخ محمد الزفزاف، ص8.
(107) ابن خلدون، المقدمة، ص489.
(108) انظر عباس، قضايا قرآنية، ص25–26.
(109) انظر المرجع السابق نقلا عن عباس محمود العقاد، ص27-28.
(110) انظر ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، 128/1.
(111) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص78.
(112) انظر الخطيب، إعجاز القرآن، ص384.
(113) ابن منظور، لسان العرب– 13، ص21؛ وانظر ص24؛ وانظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط فصل الهمزة باب النون ج4/ 197، وانظر أبا حيان، البحر المحيط، م1، ص38.
(114) انظر أبا حيان، البحر المحيط، م1، ص38، وانظر تفسير أبي السعود ج1، ص31؛ وانظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط فصل الصاد والواو والياء ج353/4 وانظر تفسير ابن عطية ج147/1.
(115) لمزيد من المعرفة حول موضوع المعرب من القرآن الكريم وبيان اختلاف العلماء في ذلك يرجع إلى بحث تحت عنوان (المعرب في القرآن الكريم) أحمد فريد صالح، نشر في دراسات، علوم الشريعة والقانون في الجامعة الأردنية، المجلد 23، العدد 1.
(116) انظر تعريف المعجزة عند جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 148/2.
(117) سورة القمر، الآية 1.
(118) تفسير السعدي، ج823/1-824 وانظر التفاسير الآتية: التسهيل لعلوم التنزيل 69/4، وتفسير المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز 211/5، وتفسير البيضاوي 263/45، وتفسير النسفي 193/4 يقول وهذا قول الجمهور أن القمر قد انشق، وتفسير زاد المسير 87/8.
(119) صحيح البخاري، ج3، ص1330 رقم الحديث 3437، 38، 39، 4583، 84، 85، وانظر صحيح مسلم، ج2158/4 رقم الحديث 2800.
(120) مصطفى صبري، ج170/4.
(121) سورة الفيل، الآيات من 5/1.
(122) حياة محمد لهيكل، ص120.
(123) البحر المحيط، 511/8.
(124) فتح القدير للشوكاني 495،/5 وانظر مختار الصحاح ج1، ص1، وانظر تهذيب اللغة لأبي منصور محمد الأزهري، 169، 270؛ وانظر مقاييس اللغة لابن فارس، 42/1.
(125) انظر التفاسير الآتية: أبا السعود، 9/ 201، تفسير السعدي، 935/1، تفسير البيضاوي، 531/5.
(126) الدخيل في تفسير القرآن الكريم، ج2، ص 86؛ و انظر أبا علبة، ص64.
(127) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم، ج2، ص86- 88.
(128) سورة البقرة، الآية 67.
(129) فراج ، رسالة الفتح ص10و12.
(130) طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن 83/82، وانظر أبا

علبة ص 172.

(131) المرجع السابق 1/ 89.

(132) انظر الآلوسي، روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1/294- 295.

(133) انظر تفسير القرطبي 457/1، وانظر تفسير هذه الآيات في كتب التفسير المعتمدة منها: تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، ج1، ص14.

(134) سورة محمد، الآية 15.

(135) مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، ص85-86.

(136) تفسير أبي السعود 95/8؛ وانظر تفسير البيضاوي 192/5، وانظر تفسير النسفي 147/4.

(137) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص8.

(138) الإكسير في علم التفسير للطوفي، ص17/ 22.

(139) الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والسبعون في معرفة شروط المفسر وآدابه.

(140) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن 2/ 175، وانظر الزرقاني، مناهل العرفان، 44/2.

(141) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج1، ص4.

(142) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2/ 322، وانظر الدريني، فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر ص211.

(143) وأصبحت اللغة في ثوبها الفضفاض وكأنها عروس تتألق على جبين الدهر بما حازت عليه من محاسن الجمال والإبداع، وما ذاك إلا لامتيازات قد تحققت فيها لم تتحقق في غيرها، يقول أحد فلاسفة الغرب الذي لم تخف عليه حقيقة اللغة: (إن في اللغة العربية استعدادا للرؤية الجانبية يتذوقه من نشأوا على التحدي بها وفي العربية بفضل تركيبها الداخلي التي توحي به قدرة خاصة على التجرد والنزوع إلى الكلية والشمول) أمين، فلسفة اللغة العربية، ص8.

(144) انظر كلام الرافعي الرائع وهو يتحدث عن تأثير القرآن في اللغة، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، ص60.

(145) سورة يوسف، الآية 2.

(146) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج292/1.

(147) المرجع السابق، ج160/2.

(148) الإتقان في علوم القرآن، ج11/1(4)، ورد هذا البيت في لسان العرب 238/1 وفي كتب التفسير منها الشوكاني 315/5 والطبري والفخر الرازي والبحر 371/8.

(149) انظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج1، ص 120، 133.

(150) كتاب الصناعتين، ص1.

(151) الجرجاني، ص4.

(152) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، ج1/ 15–17.

(153) المكان المرتفع على ما حوله.

المصـادر والمراجـع

القرآن الكريم.

ابن تيمية، المقدمة في أصول التفسير، تحقيق الدكتور عدنان زرزور.

ابن تيمية، دقائق التفسير، تحقيق محمد السيد الجلنيد، 1404هـ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية.

ابن تيميه، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق عصام حرستاني ومحمد إبراهيم الزعلي، 1413هـ-1993، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أو الفضل أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى في مطبعة السعادة في مصر، 1328هـ.

ابن خلدون، المقدمة، طبعة مصطفى محمد، مصر.

ابن سعد، محمد سعد أبو عبد ا ، الطبقات الكبرى، طبعة بيروت، 1380هـ- 1960م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبع دار الفكر، بيروت.

ابن القيم الجوزية، تلبيس إبليس، الطبعة المنيرية، ط2، بمساعدة الأزهر، 1386هـ.

ابن القيم، التفسير القيم، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.

ابن كثير، أبو الفداء القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة. وانظر طبعة دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

ابن منظور، لسان العرب دار صادر، وكذلك دار بيروت، بيروت، 1375؛ وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، 1375هـ-1955م، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي، مصر؛ وانظر دار الجيل، بيروت.

أبو زهرة ، محمد، 1998، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة جديدة.

أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة.
أبو علبة، عبد الرحيم فارس، 1426هـ - 2005م، شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في الدراسات الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية وأجيزت في.
الأزهري، محمد بن احمد، تهذيب اللغة، تحقيق علي حسن هلالي، 1967، الدار المصرية وهناك نسخة محققة من إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
الاسكندري، ابن عطاء، 1995، لطائف المنن، دار النفائس، ط 1.
الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، طبعة مكتبة الحياة بيروت.
الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، طبعة دار الفكر، بيروت؛ وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
أمين، عثمان، 1965، فلسفة اللغة العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد ا الأنصاري وزميله، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.
البخاري، أبو عبد ا محمد، صحيح البخاري المسمى (الجامع الصحيح)، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1378هـ - 1959م.
البروسوي، إسماعيل حقي، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، تحقيق محمد علي الصابوني، 1409هـ - 1989م، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية.
بلتاجي، محمد، 2000، مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة، دار السلام، ط1، القاهرة.
البوطي، محمد سعيد، 1968، فقه السيرة، دار الفكر، ط7.
البيضاوي، أبو الخير عبد ا ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ -1999م.
البيهقي، أبو بكر أحمد، شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، 1410هـ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
الحلبي، أبو الطيب، مراتب النحويين، مطبعة نهضة، القاهرة، مصر.
حمادة، فاروق، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، نشر دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة.
الخطيب، عبد الكريم، 1974، إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسة السابقين، دار الفكر العربي.
الدجني، فتحي عبد الفتاح، 1984، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة دار الفلاح، الطبعة الأولى.
الدريني، فتحي، 1982، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
الدريني، فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار قتيبة.
الذهبي، محمد حسين، 1971، الإسرائيليات في التفسير والحديث، سلسلة البحوث الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية في مصر.
الذهبي، محمد حسين، 1985، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة.
الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت.
الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
رشيد صالح، أبو صفية عبد الوهاب، 1989، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ط1.
الرومي، فهد بن عبد الرحمن، 1407هـ -1986م، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ط1، بإذن رئاسة البحوث السعودية.
الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى، 1386هـ؛ وانظر طبعة دار الهداية.
الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب، عيسى الحلبي وشركاه، 1372هـ.
الزفزاف، محمد، 1404هـ - 1984م، التعريف بالقرآن والحديث، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4.
الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت؛ وانظر نسخة تحقيق محمد مرسي عامر، الطبعة الثالثة، 1397هـ -1977م، مكتبة عبد الرحمن محمد، القاهرة.
الزمخشري، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، الطبعة الأولى، وانظر طبعة دار المعرفة، بيروت، ط1، 1391هـ.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرياض، الطبعة الأولى، 1404هـ.
السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد الخراط، 1406هـ - 1986م، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.
السيوطي، التحفة البهية والطرفة الشهية، الرسالة الرابعة، قسطنطينية، سنة 1320هـ.
السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1983.

السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، 1416هـ - 1996م؛ وانظر طبعة دار الفكر، ط1، 1413هـ 1993م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ضبط وتفصيل الأستاذ محمد عبد ا دراز، بدون تاريخ.

شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة.

الشوكاني اليماني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ وانظر طبعة دار المعرفة، بيروت.

الصالح، صبحي، 1985، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة.

صبري، مصطفى، 1981، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

الصفاقسي، أبو الحسن علي، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب ا تعالى المبين، الناشر مكتبة الثقافة الدينية.

الصلاحات، سامي، 2003، القطع والظن في الفكر الأصولي، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى.

الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ - 1987م، وانظر طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988م. وانظر طبعة دار الفكر، بيروت، 1408هـ - 1988م.

الطنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

طنطاوي، محمد سيد، 1407هـ - 1987م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار الرسالة، ط3.

الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.

عبد الوهاب، عبد الوهاب، 1980، الدخيل في تفسير القرآن الكريم.

العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق محمد البجاوي وزميله الطبعة الأولى، 1952.

العمادي، أبو السعود محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ 1999م.

الغرناطي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 1390هـ - 1978م.

غزلان، عبد الوهاب عبد المجيد، 1965م، البيان في علوم القرآن، مطبعة دار التأليف، القاهرة.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1959م.

الفراء، ابن مسعود، تفسير البغوي المسمى، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك ومروان سوار، 1413هـ - 1992م، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، وانظر طبعة مصطفى محمد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

فراج، عبد الرحمن، رسالة الفتح، مطبعة سندي وشندي، بدون تاريخ.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، طبعة الحلبي وشركاه، القاهرة؛ وانظر النسخة المحققة من الأستاذ يوسف محمد البقاعي، 1999، دار الفكر، بيروت.

القرطبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المسمى، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ - 1988م.

محمود، عبد الحليم، المدرسة الشاذلية الحديثة، طبعة القاهرة.

محمود، مصطفى، القرآن محاولة لفهم عصري.

مسلم، صحيح مسلم بن الحجاج، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر سنة النشر.

النسفي، عبد ا بن أحمد، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة الأموية، بيروت.

النووي، يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، المطبعة المصرية ومكتبتها.

هيكل، محمد حسين، 2001، حياة محمد، مكتبة الأسرة.

Linguistic Interpretations: It's Concept, It's Reasons and It's Restrictions

*Ahmed F. Abu Hazem**

ABSTRACT

This paper aims at showing that the linguistic interpretations of the religious texts are unsound and based on false views of religion, lack of understanding of the rules of Arabic and standard principles of interpretation followed by religious scholars of the Holy Qura'n. It also aims at explaining the factors leading to the emergence of such unfounded or incorrect interpretations, providing illustrative examples, such as:

- Reference and adherence to lexical items which deviate from the intended meaning ,
- Changing some lexical items used in the Holy Qura'n and interpreting them accordingly.

The paper then shows that an accurate interpretation is that which is based on scholarly principles. The most important of these is a full understanding and realization of the Arabic language as it is the main source of reference.

The paper also aims at disclosing and uncovering the faults of some of ancient interpreters and some of the false interpretations suggested by so-called modern interpreters who subjected their interpretations of the Holy Qura'n to pure scientific rules and principles, without observing the sound agreed upon interpretation rules and principles. Examples of these baseless interpretations include the ones related to women (their clothing, appearance), the existence of foreignism in the Holy Qura'n, and all those deviations from the norm as stated in the Holy Book and the Prophet's (PBUH) traditions, such as the miraculous, supernatural, metaphysical and extraordinary phenomena, and the divine secret. Their intention behind these misinterpretations is to spread confusion, turmoil and misunderstanding of the two major sources.

Thus the most important aim of this paper is to purify the interpretation books and rid them off these erroneous, unfounded views, by suggesting a set of principles to control the process and guide the interpreter in giving the right views without deviating from the holy message or distorting the spirit of the Holy sources.

Keywords: Linguistic Interpretations, Interpretation Restrictions.

* Department of Islamic Studies, Faculty of Education, Sultan Qaboos University, Masqat, Oman. Received on 1/7/2006 and Accepted for Publication on 5/3/2007.